

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

---

١٠٤ - سُورَةُ الْحُمَزَةِ

---

مكية ، وآياتها تسع .

---

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ)

[٢] (الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ)

[٣] (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ)

- « وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ » أى لكل من يطعن في أعراض الناس ويفتقاهم .
- أصله من الهمز بمعنى الكسر ، ومن اللمز بمعنى الطعن ، الحقيقيين . ثم استعيرا لذلك . ثم صار حقيقة عرفية فيه . قال زياد الأعجم (١) :

تُدَلِّي بُوْدِي إِذَا لَا قِيَتِي كَذِبًا وَإِنْ أُغْيِبُ فَأَنْتَ الْهَامِزُ اللَّمَزَةُ

- وبناء (فُعْلَمَةٌ) يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها ، لأنه من صيغ المبالغة . والآية عنى بها من كان مع المشركين بمكة ، هازأً لمازاً . كما فى قوله (٢) (إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ \* وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ..) الآيات ، وقوله (٣) (هَمَزٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ..) الآيات ، فالسبب ، وإن يكن خاصاً ، إلا أن الوعيد عام ، يتناول كل من باشر ذلك القبيح . وسرّ وروده عاماً ، ليسكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه ، فإن ذلك أزر له وأنكى فيه .

« الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ » أى أحصى عدده ولم ينفقه فى وجوه البر .

قال الإمام: أى أن الذى يجمعه على الخط من أقدار الناس ، هو جمعه المال وتعيديه . أى عده مرة بعد أخرى ، شغفاً به وتلذذاً بإحصائه . لأنه لا يرى عزاً ولا شرفاً ولا مجدداً فى سواه .

(١) انظر الصفحة رقم ٤٧٥ من إصلاح المنطق لابن السكيت .

(٢) [ ٨٣ / المطففين / ٣٠ و ٢٩ ] . (٣) [ ٦٨ / القلم / ١١ ] .

فكلما نظر إلى كثرة ما عنده منه ، انتفخ وظن أنه من رفعة المكانة ، بحيث يكون كل ذى فضل ومزية دونه . فهو يهزأ به ويهمزه ويلهزه . ثم لا يخشى أن تصيبه عقوبة على الهمز واللمز وتمزيق العرض . لأن غروره بالمال أنساه الموت وصرف عنه ذكر المال فهو « يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ » أى يظن أن ماله الذى جمعه وأحصاه ، وبخل بإنفاقه ، مخلده فى الدنيا ، فزيل عنه الموت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤] ( كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ )

[٥] ( وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ )

[٦] ( نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ )

[٧] ( الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ )

[٨] ( إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ )

[٩] ( فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ )

« كَلَّا » أى فليرتدع عن هذا الحسبان ، فإن الأمر ليس كما ظن . بل لا بد أن يفارق هذه الحياة إلى حياة أخرى يعاقب فيها على ما كسب من سبب الأعمال ، كما قال « لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ » أى ليلقى ويلقى فى يوم القيامة فى النار التى من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها . أى تسكسه ، وكلمة (النبت) تفيد التحقير والتصغير « وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ » استفهام عنها تهويل أمرها . كأنها ليست من الأمور التى تدركها العقول « نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ » أى هى النار التى لا تنسب إلا إليه سبحانه ، لأنه هو مُسْتَهْتَهُمُهَا فى عالم لا يملكه سواه .

قال أبو السعود : وفى إضافتها إليه سبحانه ، ووصفها بالإيقاد ، من تهويل أمرها مالا يزيد عليه « الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ » قال ابن جرير<sup>(١)</sup> : أى التى يطلع إليها ووجهها على القلوب .

(١) انظر الصفحة رقم ٢٩٤ من الجزء الثلاثين ( طبعة الحلبي الثانية ) .

والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى . حكى عن العرب سماعا ( مَتَى طَلَعَتْ أَرْضُنَا ) . و ( طَلَعْتُ أَرْضِي ) بِلَفْتٍ .

وقال الزخشرى : يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم، وهى أوساط القلوب . ولاشئ فى بدن الانسان ألطف من الفؤاد، ولا أشد تألماً منه بأذى أذى عيسه . فكيف إذا اطلمت عليه نار جهنم واستوتت عليه !! ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة . أو تطالع ، على سبيل المجاز معادن موجبها « إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ » أى مغلقة مطبقة لا مخلص لهم منها « فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ » صفة لمؤصدة، وأحوال من الضمير المجرور . وإلى الوجهين أشار الزخشرى بقوله : والمعنى أنه يؤكّد بأسهم من الخروج ، وتيقنهم بحبس الأبد ، فتؤصد عليهم الأبواب ، وتمدد على العمدة ، استيثاقاً فى استيثاق . ويجوز أن يكون المعنى أنها عليهم مؤصدة ، موثقين فى عمد ممددة ، مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص .

و ( المقاطر ) جمع ( مقطرة ) بالفتح ، وهى جذع كبير فيه خروق يوضع فيها أرجل الجبوسين من اللصوص ونحوهم ( وتقطر ) أى يجعل كلٌّ بجنب آخر و ( عمد ) قرى بضم العين والميم وفتحهما .

قال ابن جرير<sup>(١)</sup> : وهما قرأتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء . ولغتان صحيحتان . والعرب تجمع العمود عمُداً وعمداً ، بضم الحرفين وفتحهما ، كما تفعل فى جمع إهاب تجمعهُ أهباً وأهباً .

تدبيه

قال القاشانى فى بيان آفات رذيلتى الهمز واللمز اللتين نزلت فى وعيدىها السورة ، ما مثاله : الهمز أى الكسر من أعراض الناس واللمز أى الطعن فيهم ، رذيلتان من كبتان من الجهل والغضب والكبر . لأنهما يتضمنان الإيذاء وطلب الترفع على الناس . وصاحبهما يريد أن

(١) انظر الصفحة رقم ٢٩٥ من الجزء الثلاثين ( طبعة الحلبي الثانية ) .

يتفضل على الناس ، ولا يجد في نفسه فضيلة يترفع بها . فينسب العيب والرديلة إليهم ، ليظهر فضله عليهم . ولا يشعر أن ذلك عين الرديلة . فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتي القوة النطقية والغضبية .

ثم قال : وفي قوله تعالى ( وَعَدَدَهُ ) إشارة أيضاً إلى الجهل . لأن الذي جعل المال عدة للنوائب ، لا يعلم أن نفس ذلك المال يجر إليه النوائب . لاقتضاء حكمة الله تفريقه في النائبات ، فكيف يدفعها ؟ وكذا في قوله ( يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ) أى لا يشعر أن المقتنيات المخلدة لصاحبها هي العلوم والفضائل النفسانية الباقية ، لا العروض والذخائر الجسدية الفانية . ولكنه مخدوع بطول الأمل ، مغرور بشيطان الوهم عن بغتة الأجل . والحاصل أن الجهل الذي هو رديلة القوة الملكية ، أصل جميع الرذائل ، ومستلزم لها . فلا جرم أنه يستحق صاحبه الغمور فيها ، العذاب الأبدى المستولى على القلب المبطل لجوهره .